

يعد فن الخط العربي فنا إسلاميا خالصا، فهو من صنيع الدين الإسلامي، وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم، ولم يسبق للكلمة أن كانت فنا مرثيا في أمة من الأمم قبل فن الخط العربي في الحضارة الإسلامية. فكيف نشأ هذا الفن وكيف تطور حتى وصل إلى العالمية؟ وهل المكانة المتميزة للخط العربي في حياة المسلمين، وليدة الصدفة أم تولدت من ارتباطه بالدين الإسلامي، أم هناك دوافع أخرى؟ لقد كان تراث المسلمين رائعا في مجال الخط العربي، الأمر الذي جعله فنا مميزا للحضارة الإسلامية على امتداد عصورها، وفي كل بقعة من بقاع العالم الخط والكتابة في الحضارة الإسلامية. ويعتبر الخط العربي أهم الفنون التي أبدعتها الحضارة العربية الإسلامية وأكثرها انتشاراً في بلاد العرب والمسلمين على السواء، إذ هو حاضر في أنواع العمائر كما في الأواني والأثاث والملابس، إنه ليس فناً ترفيهياً أو جمالياً عارياً عن الوظيفة، وإنما هو صناعة تثير في النفس أصدق مشاعر التقدير والإجلال ويشعر المسلم بأنه عضو في الأمة الإسلامية، إذ هو قبل كل شيء أداة التعبير القرآني، وهو هندسة روحانية بآلة جسدية تجمع بين تجريد المعنى ومادية الرسم، وتحيط الناظر بأطر جمالية معرفية تمزج المادي بالمجرد فيرى نفسه فيه ويعمل على تجاوز المادي بحثاً عن المجرد تمكيناً لإيمانه بالله العلي القدير وسعياً به إلى الرقي في درجات الكمال. كيف يصبح للكلمة وظيفة مرثية يقول الدكتور إسماعيل فاروقي، وهو واحد من أبرز المتخصصين بدراسة الإسلام في العالم: "لا نجد بين شعوب ما بين النهرين، والبرانيين، والهندوكيون؛ ومثلهم الإغريق والرومان... بما في ذلك العرب أنفسهم- منْ حاول اكتشاف القيمة الجمالية للكلمة المرثية... لكن ظهور الإسلام قد فتح آفاقاً جديدة أمام الكلمة كوسيلة للتعبير الفني. حقاً إن العنصرية الإسلامية هنا لا تُصَارَعُ، إن هذا الخط قد أصبح لوناً من ألوان الأرابيسك، يمكننا إذن أن نتصوره عملاً فنياً مستقلاً، إسلامياً خالصاً، بَعْضُ النظر عن مضمونه الفكري". ويؤكد ذلك الدكتور مصطفى عبد الرحيم في مقال بصحيفة "الأنباء" الكويتية، فيقول: "إن الخط العربي هو الفن الوحيد الذي نشأ عربياً خالصاً، صافياً نقياً، ولم يتأثر بمؤثرات أخرى... ويقول بعض المستشرقين: إذا أردت أن تدرس الفن الإسلامي، فعليك أن تتجه مباشرة إلى فن الخط العربي". ويقول د. راغب السرجاني في دراسة له عن الخط العربي، أن المصادر العربية، كالعقد الفريد، وخلاصة الأثر، والبداية والنهاية، والكمال، والفهرست، وصبح الأعشى، وغيرها.. قد أجمعت بأن الخط العربي لم يَنْلُ عند أمة من الأمم ذوات الحضارة ما ناله عند المسلمين، من العناية به، والتفنن فيه. فخلال مُدَّةٍ وجيزة استطاع الفنان المسلم أن يجعل للكلمة وظيفة أخرى مرثية، إضافة إلى وظيفتها المسموعة، وما أن وَلَجَتِ الكلمة هذا الميدان الجمالي حتى بدأ التطور يسير بها في خطوات حثيثة، وَاكْبَتِ خطوات فنّ الزخرفة، بل تَقَدَّمَتْهَا، وكان بين الفنّين تعاونٌ وثيق. الخط العربي.. أنواع وتفرعات وكمثال على عناية المسلمين بالخط العربي والتفنن فيه، تعددت أنواعه وكثرت، فمنه الخط الكوفي و الخط النسخي و خط الثلث و الخط الأندلسي و خط الرقعة و الخط الديواني و خط التعليق (الفارسي) و خط الإجازة. وقد تفرَّع عن هذه الخطوط فروغٌ أخرى جعلت هذا الفنَّ ثرياً قادراً على العطاء، يحمل إمكانية التكيف، ليؤدِّي دوره في كل الأحوال والمناسبات، فقد تفرَّع عن الكوفي مثلاً: الكوفي المورق والكوفي المزهر والكوفي المنحصر والكوفي المعشق أو المظفر أو الموشح، كما تفرَّع عن الخط الديواني: جلي الديواني، وتفرَّع عن خط الثلث: جلي الثلث، وغير ذلك من التفرعات في مسارات الخط العربي الطويلة والكثيرة. لكن إن أشهر أنواع الخطوط العربية المعروفة والمتداولة اليوم ستة، وهي: الكوفي - والثلث - والنسخ - والفارسي - والرقعة - والديواني. يضاف إليها نوعان آخران هما: الديواني الجلي وهو نفس الخط الديواني مضافاً إليه الشكل. وخط الإجازة وهو مزيج من خطي الثلث والنسخ، وسمي كذلك لأن الأساتذة الخطاطين كانوا يكتبون به "الإجازة" أي الشهادة لتلاميذهم حتى يكون لهم حق ممارسة الكتابة. وقد تميز كل خط وعُرف بأسماء الأقطار التي دخله الإسلام فكان: الخط الفارسي، والعراقي، والمصري، والمغربي، والأندلسي، ولكل منها سمات لا تكون في الآخر، لأنه اكتسب في كل من هذه البلاد خصائص محلية تميز بها.